البيئةُ بينَ العلمانيَّةِ البيئيةِ والروحانيَّة الدينيَّة: من خُلُقيَّات الحفظ إلى فلسفةِ العبادة

أ.د. محمد بن علي[1]

ملخّص

مصطلح البيئة ليس جديدًا، ولكن الجديد يكمن في الفهم المتجدِّد المرافق للمفهوم؛ حيث أصبح يرتبط بالمشاكل التي تهدِّد نظام الطبيعة، ومن ورائها مستقبل الإنسان؛ إذ لم تعد المشكلات البيئيَّة اليوم مجرَّد اختلال في نظام الطبيعية بل نتاجًا لطريقة تفكير الإنسان ورؤيته للعالم.

تستهدف هذه الورقة استعراض سؤال البيئة بين رؤيتين تتنازعان المكان والاستحواذ في عالم اليوم، رؤية روحانية دينيَّة ترتكز منطلقاتها على فكرة الغايات النهائيَّة للإنسان، باعتباره صاحب رسالة وشاهد حضارة، في إطار ينسجم مع شمولية الدين وغاياته القصديَّة.

وفي المقابل، تبرز معالم العلمانيَّة البيئيَّة، التي رافقت رؤية الاتجاه المادِّي للإنسان والوجود. نظرة متمركزة حول الذّات، تجعل من الإنسان المسؤول الوحيد عن وضعه البشري وعن إنسانيَّته.

تطمح الدراسة لتقديم رؤية تراعي أبعاد أشمل للدين، تنتج عنها حلول لمجابهة المشكلات الناجمة عن الانتهاكات المتواصلة للبيئة في ظلّ تنامي النزعات المادِّيَّة، المستندة على قِيَم الثقافة الاستهلاكية التي استباحت البيئة كما استباحت كرامة الإنسان وحاصرته في بُعده الاستهلاكي.

الكلمات المفتاحية: الدين، العلمانيَّة، البيئة، الروحانيَّة، الروحانيَّة الدينيَّة، الأخلاق، العبادة.

١ - أستاذ تعليم عال، جامعة أحمد زبانة، غليزان، الجزائر. عضو خبير، اللجنة الوطنية لبرنامج الفلسفة، وزارة التعليم العالي، الجزائر mohamed.benali@univ-relizane.dz

Environment between Environmental Secularism, Religious Spirituality

from Ethics of Preservation to Philosophy of Worship

Prof. Mohammad bin Ali[1]

Abstract

The term "environment" is not new; rather, what is new is the renewed understanding associated with the concept. It has come to be linked to problems that threaten the natural order and, consequently, the future of humanity. Environmental problems today are no longer seen merely as disturbances in the natural system, but as the result of the way humans think and perceive the world. This research seeks to examine the environmental question through two competing perspectives that struggle over space and domination in today's world. The first is a spiritual and religious vision, grounded in the idea of humanity's ultimate purposes, viewing the human being as a bearer of a mission and a witness to civilization, within a framework consistent with the comprehensive nature of religion and its purposive objectives.

In contrast, the research highlights the features of environmental secularism, which has accompanied a materialist view of the human being and existence. This perspective is centered on the self and considers the human being as solely responsible for their condition and their humanity. It aspires to offer a vision that takes into account the broader dimensions of religion, leading to solutions that address environmental problems resulting from ongoing violations of nature amid the growing spread of materialist tendencies based on consumer culture. This culture has not only violated the environment but also undermined human dignity, confining the human being to a purely consumptive dimension.

Keywords:

Religion, Secularism, Environment, Spirituality, Religious Spirituality, Ethics, Worship.

1 - Professor of Higher Education, Ahmed Zabana University, Relizane - Algeria. Expert Member, National Committee for the Philosophy Program, Ministry of Higher Education - Algeria.

مقدِّمة

ينطلق هذا البحث من تساؤل مركزي عن مدى نجاعة العلمانيَّة البيئيَّة في تصدِّيها للأزمة البيئيَّة الراهنــة، ومدى قدرتها على تقديم مبرِّرات تصمد أمام رؤية إيمانيَّة تعتبر البيئة أمانة إلهيَّة، وترى الإنسان مجرَّد مستخلَف فيها ومسؤول عن رعايتها وحمايتها. وفي هذا السياق، يفترض البحث أنَّ الرؤية العلمانيَّة للبيئة تســتند أساسًــا إلى مرجعيَّات نابعة من تصوُّر مادِّي للعالم في أوســع دلالاته؛ حيث تُفهم الطبيعة غالبًا بوصفها موردًا قابلاً للاستثمار والاستغلال. في المقابل، تقوم الروحانيَّة الإيمانيَّة على مرجعيَّة متعالية تربط بــين الغايات الوجوديَّة والبُعد التعبُّدي، وتُخضع العلاقة مع البيئة لمنظومة خُلُقيَّة ذات أفق أُخروي. كما ينطلق البحث من فرضيَّة مفادها أنَّ تجاوز محدوديَّة العلمانيَّة البيئيَّة لا يتحقَّق إلا من خلال إضفاء بُعد خُلُقي وروحاني على الفهم العلمي للبيئة، وربط السلوك البيئي بمفاهيم الأمانة والاستخلاف والمسؤوليَّة.

وبالنظــر إلى طبيعــة الموضوع وتشــعُّب أبعاده الفكريَّة والفلســفيَّة، يعتمــد البحث المنهج الوصفــي التحليلي المقــارن، بهدف إبراز الأُطر المرجعيَّة التي تحكــم كلاًّ من الرؤية العلمانيَّة والرؤيــة الروحانيَّة الدينيَّة في مقاربتهما للقضيَّة البيئيَّة، مــع التركيز على الاختلاف بين مرجعيَّة الغايات في المنظور الإيماني، ومرجعيَّات الأخلاق المادِّيَّة في التصوُّر العلماني.

وتنبع أهمِّيَّــة هذا البحث من تناوله مســألة البيئة في علاقتها بالروحانيَّة البيئيَّة، وهي مســألة تكتسب راهنيَّتها في ظلّ هيمنة النزعة المادِّيَّة وتزايدها، مقابل تراجع الوعي البيئي وتآكل الشعور بالمســؤولية الخُلُقيَّة تجاه الطبيعة. ويسعى البحث إلى الإسهام في إثراء النقاش الدائر في واقع

البيئة وما تتعرَّض له من انتهاكات خطيرة، وما يترتَّب على ذلك من آثار مدمِّرة ناتجة عن إفساد الإنسان للبيئة، مثل التلوُّث، والإضرار بالتنوُّع البيولوجي، وانتشار الأمراض المزمنة. كما يؤكِّد على ضرورة تحمُّل المسؤوليَّة الفرديَّة والجماعيَّة في الحفاظ على البيئة، والاستفادة من خيرات الطبيعة بصورة عقلانيَّة تضمن الاستدامة وتجنِّبها التدمير، مضافًا إلى استعراض الأسس والمعالم التي تقوم عليها الرؤية الاستخلافيَّة في صون البيئة، باعتبارها رؤية تتجاوز في أفقها وحدودها التصوُّر العلماني.

ولا يهدف هذا البحث إلى مجرَّد تعداد القِيَم الخُلُقيَّة الواردة في الكتاب والسُنَّة؛ إذ إنَّ ذلك أمر متاح ومطروق في الدراسات السابقة، بل يتجاوز هذا الغرض إلى محاولة الكشف عن الأسباب العميقة التي أدَّت إلى تراجع النزعة الإيمانيَّة في المجال البيئي، في مقابل تنامي النزعة الماديَّة، وذلك في سياق استمرار التفوُّق الحضاري للغرب وما رافقه من تحوُّلات فكريَّة وقِيميَّة أثَّرت في نظرة الإنسان إلى الطبيعة والكون.

أوّلًا: مدخل مفهوميّ:

١. مفهوم البيئة: (environment)

لغة: اسم لفعل، باء، يبوء، تبوّأ. يحيل إلى المكان أو المنزل المستقر فيه، ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا۞ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٤]. مكّن لكم فيها، وسهّل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون. وقوله تعالى: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧]. بمعنى ترجع وتعود بذنبي وذنبك.

اصطلاحا: يطلق لفظ البيئة على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثِّرة فيه، وعلى العناصر داخل هذا المحيط، ولها أهمّيَّة بالنسبة للإنسان والكائنات الحيَّة الأخرى. كما يتسّع مفهوم البيئة ليشمل ما أضافه الإنسان، بحكم ذكائه وتطلعه لتحسين ظروف عيشه. وبناء على هذا لا يمكن الحديث عن مفهوم شامل للبيئة إلا من خلال ربط كلّ عناصرها المكوّنة،

في إطار تفاعلها وتكاملها فيما بينها. بينما يشير علم البيئة (Ecologie) كما ما عبرّ عنه (إرنست هايكل- Ernst Haeckel) إلى «العلم الذي يدرس علاقات الكائنات الحيَّة ببيئتها؛ وهذا العلم يشمل، بالمعنى الواسع، جميع شروط الوجود»[١]، والذي يعلّمنا «أنَّه علينا فهم تفاعل جميع الأشـياء الحيَّة في البيئة التي نعيش فيها». بينما يشير مصطلح فلسفة البيئة (Environmental philosophy) غالبًـا ما تقترن بموضوع أخلاق البيئة- للمعايـير الخُلُقيَّة والأحكام التي توجّه الفـرد والمجتمع نحو ما ينبغي أن يُلتزم به من أخلاق في مجـال التعامل مع مكوّنات الطبيعة المختلفة، اسـتجابةً لتجربة إنسانيَّة متغيرِّة، واستكشـاف كيف يمكننا، نحن البشر، أن نتخيَّل مكانتنا ودورنا في الطبيعة، واكتشاف كيف يمكن لهذه الأفكار الجديدة العظيمة أن تغيرِّ قِيَمنا من خلال إعادة ضبط إحساسـنا بالواجب؛ لأنَّ "النظـم الإيكولوجية الطبيعية مُهمَّة لصحتنا الجسـديَّة والعقليَّة، وهي مُهمَّة كذلك لهويِّتنا، فهـي موطن للحياة البرية الثمينة...ومصدرًا للقِيم الروحيَّة"[٢].

٢.مفهوم الطبيعة (nature):

تحيل كلمة physis اليونانيَّة وnatura اللاتينيَّة إلى القدرة على النمو الكامنة في الأشياء. وعند (أرسطو) "كلّ ماهيَّة يقال عنها طبيعة، والطبيعة الأُولى هي الماهيَّة"[٣]. وهي عند (ابن سـينا) القوَّة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي، وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليه جميع المعاني الفلسـفيَّة...وهي أيضًا جملة الموجودات التي يتألَّف منها الكون[٤]، ويطلـق لفظ الطبيعة على النظام أو القوانين المحيطة بظواهر العالم المادّي.

---

1 - Irene Becci: Les éco-spiritualités contemporaines, p21

٢ - دليل مبادئ اسـتعادة النّظم الإيكولوجيـة، برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)، منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO)، ص٥

٣ - محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: الطبيعة والثقافة، ص٧

٤ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج٢، ص١٣

٣.(الروحانية Spirituality):

الروحانيَّة كلمة مشتَّقة من spiritus اللاتينيَّة، spiritualité الفرنسيَّة، Spirituality الإنجليزيَّة، وهي مفهـوم يصعب حصره، خاصّة أنّه تطوّر عبر العصور مـن مفهوم ديني خالص إلى مفهوم حديـث، جعل مـن الروحانيَّة مفهوم مرتبط بسـعي الإنسـان للبحث عن معنـى في الحياة[١]، واسـتكمال تطوّر النوع الإنسـاني حتى يصـل إلى درجة الكمال المطلق، وهو حب الإنسـانية وليس حبّ الله، وحتى هذا الحبّ في الروحانيَّة، هو طريق لحبّ الإنسانيَّة، التي تبقى هي الغاية النهائيَّة من الجهد الروحاني[٢]. وهو ما أشـار إليه (هنري برغسون-Henri Bergson) في كتابه "الطاقة الروحيَّة" كلّ وعي «هو استباق للمستقبل ...يهتمّ بما هو قائم"[٣]؛ لأنَّ «وجودنا الذاتي هو الوجود الذي نراه، والذي نعرفه على أكمل وجه؛ وذلك لأنَّه من الممكن أن نحكم على جميع الأشياء الأخرى، التي نكوّنها لأنفسنا».

تُحيـل الروحانيَّـة تبعًا لهذا الفهـم إلى الرغبة في تحديد سـلوكٍ قد يتوافـق أو لا يتوافق مع الأديان المُعترف بها، ونتيجةً لذلك، قد يُوصف-السـلوك- بأنَّه غير ديني، ولكن نظرًا للغموض، يمُكن أيضًا وصفه بأنَّه «ديني». تتميَّز ممارسـة الروحانيَّـة بكونها تأمّليَّة، رغم وجود علاقة بينها وبين الدين، لكنَّها ليسـت متّسـقة تمامًا مع السـمات التي تميِّز الممارسـة الروحيَّة...وتماشيًا مع هذا التوجّه الفكري، أصبحت الروحانيَّة ظاهرةً إنسـانيَّةً تختلف عن جميع الأديان التقليديَّة وتسبقها[٤]». فهي تركّز على القول: كن هادئًا، ولطيفًا، ومتسامحًا، ومحبًّا دون قيد أو شرط تجاه كلّ الحياة في جميع مظاهرها...والاحترام تجاه جميع المخلوقات[٥].

لهـذا يمكن القـول إنَّ الروحانيَّة «تجربة أو اختيـار جوّاني، قوامه شـعور عميق متأصِّل في

---

١ - يمكن مقارنة هذا بمفهوم الروح في الإسلام، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الاسراء: ٨٥].

٢ - مفيدة ذهبان: «نقد الروحانية العلمانية: الحدسية البرغسونية أنموذجًا»، ص١٢٣-١٥٥.

٣ - برغسون هنري: الطاقة الروحية، ص٧

4 - Linking sustainability and spirituality: A preliminary assessment in pursuit of a sustainable and ethically correct world, Volume2, P.380

٥ - ديفيد ر. هاوكينز: عين الأنا: من المكان حيث لا شيء نخفي، ص٧٣.

الإنسان، بوجود حقيقة سامية أو نظام كلّي مثبَّت في عالم الظواهر، ومتعال عليه في الوقت نفسه. وهي ترفض تدخُّل الدين (Spiritual but Not Religious)، وتعمل على تقديم بدائل غير دينيَّة، تخرج من إطار العبادات إلى إطار الممارسات الواقعيَّة. وفي هذا السياق، يصبح الإنسان تجلِّيًا لهذا النظام الكلّي على مستوى الكرة الأرضيَّة، بحيث يتعيَّن عليه أن يحيا في عالم الظاهر"[١]. ويبحث عن معنى للحياة في الواقع المادِّي (Meaning in a Material World).

ثانيًا: معالم الرؤية الماديَّة- العلمانيَّة للوجود:

الماديَّة (Materialism) توجّه فكري ونزعة فلسفيَّة، ترى أنَّ العالم المادّي هو العالم الحقيقي، وأنَّ المادَّة هي مصدر إحساساتنا وأفكارنا. وهي التي تحدِّد مدارك الوعي وقنواته النّظرية في فهم الوجود الخاصّ والعام، وبناء عليه يصبح الواقع المحسوس هو الحقيقة الوحيدة، وأنّ وعينا ما هو إلاّ نتاج الوجود الموضوعي المستقلّ عن وعينا، ويمكن القول إنَّ الماديَّة في الحضارة الغربيَّة المعاصرة أصبحت تُعبرِّ عن حالة الفكر في تقاطعه مع النزعة العَلمانيَّة، التي ترى الكون قابلاً لأنْ يَعرفه الإنسان، وأنّه مُؤلَّف في النهاية من جزئيَّات المادة.

تعارض العَلمانيَّة كل مرجعيَّة متعالية أو مفارقة يمكن أن تكون مصدرًا للكون، وتعمل على إزاحة الدين عن الحياة البشريَّة عن طريق تكريس محوريَّة العقل، واعتماد الدنيوي في تاريخيَّته بديلاً للتعالي والقداسة الروحيَّتين[٢]. رغم أنَّ مصطلح العَلمانيَّة (Secularism) كما نحته الإنجليزي: (جورج هوليوك -George Holyoake) (١٨١٧-١٩٠٦) عام١٨٥١م، لا يحيل إلى ضدّ المسيحيَّة؛ لأنَّها لا تُحقّق في ادعاءات المسيحيَّة، بل تقدّم ادّعاءات أخرى، وتصرّ على جدوى الحقيقة العَلمانية، وفعاليَّتها[٣].

ثمّ اتَّسعت دلالة المفهوم لتنسحب على كلّ المؤسَّسات الدنيويَّة المعنيَّة بالمسائل المدنيَّة-الزمنيَّة، انطلاقا من مبدأ التسامح المرتكز على الحقوق الطبيعيَّة للفرد. وقدرته على تحقيق

١ - ديميتري أفييرينوس: «العلم والروحانية»، ص٤٠
٢ - عبد اللطيف كمال: التفكير في العلمانية، ص٥٣-٥٤
٣ - كارل ساجان: كوكب الأرض، ص٦٤

الخلاص بعيدًا عن تدخُّل السلطة الزمنيَّة أو إجباره «على الإيمان استنادًا إلى قوَّة برَّانيَّة، مُعلنة عن عَلمنة جزئيَّة للواقع، تفصل بين صلاحيَّات الكنيسة وصلاحيات الدولة، تاركةً حيِّزًا للقِيم الإنسانيَّة والدينيَّة والخُلُقيَّة، ما دامت لا تتدخَّل في عالم السياسة. عكس العَلمنة الشاملة، التي أقصت الدين بالكلّيَّة، وفصلت القِيم الدينيَّة والخُلُقيَّة عن الحياة العامَّة والخاصَّة، إلى أن جرى نزع القداسة تمامًا عن العالم والإنسان والطبيعة[١]؛ حيث أصبح العلم أداة لتسخير الطبيعة، والعقل أداة الوصول إلى المعرفة.

أحال تحالف العلم والعقلانيَّة على مجموعة من الأفكار قادت إلى الاعتقاد بأنَّ الكون يعمل وفقًا لما يقوم به العقل عندما يفكِّر بطريقة منطقيَّة وموضوعيَّة، ما يساعد الإنسان على فهم كلّ ما يدخل تجربته. ولا وجود لشيء يتجاوز الطبيعة. وهذا ما أدَّى إلى عدم الثقة بالدين وزعزعة القوانين الدينيَّة عن طريق تكريس محوريَّة العقل، وسلخ القدسيَّة عن العالم[٢]. بعيدًا عن كل مرجعية متعالية، فالإنسان، والأرض، والكون، أجزاء من طبيعة واحدة، ترتبط بالمنافع واللّذَّات، ومآلها الحتمي هو الفناء والرجوع إلى عناصر المادَّة الأُولى التي تسري عليها قوانين واحدة، وتُدرس بطريقة واحدة، ولا بدَّ لتفسيرها أن يقع في نطاق ما هو طبيعي، دون أن تضيف إليه أي عنصر غريب عنه. وترفض للدين وظيفته الفكريَّة والوجوديَّة والخُلُقية[٣]. وعلى الإنسان الأخذ بهذه الطريقة في النظر للعالم، كما كان يفعل منذ أمد بعيد، وفي كل مرة كان يضطر لإشباع حاجاته والسيطرة على الطبيعة، كان يلجأ للوسائل التقنيَّة الفعَّالة. ولمّا كان باستطاعة الإنسان أن يحوّل المادة والطبيعة بعمله، فهو يستطيع أن يحسِّن مصيره بعمله دون اللّجوء إلى فكرة العناية الإلهيَّة[٤]؛ لأنّ الحياة بما تشمله من كائنات دقيقة ونباتات وحيوانات وإنسان، ليست نتيجة لإرادة إلهيَّة مقدّرة ومدبّرة، وإنمّا هي نتيجة لتطوّرات متتالية تخضع لعاملي[٥]: الصدفة التي تجمع بين

١ - جون لوك: رسالة في التسامح، ص٤٧٢

٢ - محمود حيدر: ما بعد العلمانية، ص٤٠.

٣ - أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، ص١٥.

٤ - جورج بوليتزر، موريس كافنين: أصول الفلسفة الماركسية، ص١٤٧.

٥ - أحمد عروة: أفرأيتم النار التي تورون، ص٦٣- ٦٤.

العناصر الطبيعيَّة، وعامل الحتميَّة التي تجمع بين القوى الكامنة في تلك العناصر.

تنبع هذه الرؤية من تحوّل تاريخي شهده الغرب[١] أضعف الروح والأخلاق والقِيم الإنسانيَّة؛ بسبب اعتماده على رؤية ماديَّة ودنيويَّة[٢]، جعلت الإنسان الغربي يعيش في حالة من الوهم والغفلة ويستمر في الإفراط في استخدام موارد الطبيعة، رغم اعتراف كثير من مفكِّري الغرب بخطورة هذا النهج، تقول (لين ستالسبرغ -Linn Stalsberg): نحن، أي من يعيشون في الغرب، نعيش في أكثر جزء ثري من العالم، ونحن أيضًا أكثر من يؤثِّر سلبًا على الطبيعة والبيئة من حولنا بسبب أسلوب حياتنا، وما يزيد من الأمر سوءًا، هو أنَّنا نمتلك المعرفة والمال اللازمين لتغيير هذا الوضع، لكنَّنا لا نفعل شيئًا[٣].

ثالثًا: العلمانيَّة البيئيَّة (Eco-secularism):

لم تكن الصلة بين الإنسان والطبيعة صلة منفعة ماديَّة دائمًا بل كانت الطبيعة بمثابة مورد روحي للإنسان، فالمبادئ المعياريَّة تكمن وراء أفكار الشعوب، فالأرض لا تمثِّل موردًا لاستجلاب منافع بشريَّة فحسب، وإنَّما تنطوي أيضًا على قِيمة ذاتيَّة وهبها لها الله. ولا أحد يملك سلطة تدمير الأشياء في الطبيعة، بحجَّة إشباع حاجيَّاته. ليس البشر «أسيادَ الكون، فهم بصفتهم متمركزين حول الإنسان (anthropo-centric) يعتقدون أنَّ قيمة البيئة تكمن في الاستخدام البشري لها...ويدركون- بغض النظر عن المعتقد الديني- أنَّه في حال تدهور البيئة، فإنَّ حياتهم ومستقبل الأجيال القادمة سيتأثَّر.

في ظلّ سطوة التقنيَّة، أصبحت المدنيَّة الحديثة بمنطقها الاستهلاكي، تدمّرُ كلّ شيء بمنتهى الأنانيَّة[٤]، وتجريد الوجود من كل قيمة، واختزاله في مجرَّد قِيم تبادليَّة، مُعلنةً عن ضياع الذاتيَّة الإنسانيَّة، بعد أن «كتب الإنسان في تقدّمه المُعلن سجلاً مخزيًا من التخريب الموجَّه، ليس فقط

١ - تيري إنجلتون: أوهام ما بعد الحداثة، ص٧.
٢ - وائل الحلاّق: من الانتقاد إلى النقد: من هنا نبدأ.
٣ - لين ستالسبيرج: كفى، كيف تدمر الليبرالية الجديدة البشر والطبيعة، ص١٧٣
٤ - ديميتري أفييرينوس: الأرض كائن حي، ص٣٦.

ضدّ الأرض التي يسكنها، وإنَّما ضدّ الكائنات الحيّة التي تشاركه فيها[١]. وعليه، فالدرس الذي تفرضه هذه البيئة هو محدوديّتنا، ورسالتها بأنّنا مجرَّد نوع واحد على كوكب الأرض، مندمج بمحيط حيوي يتجاوز آفاقنا، ففي استغلالنا للموارَد الطبيعية نقترض من المستقبل، ووفقًا لذلك علينا معاملة أرضنا باحترام بوصفها في نهاية المطاف أمرًا مقدَّسًا...علينا أن نثق بها لا أن نهيمن عليها. وفي حين أنّنا لا نستطيع اكتساب سيادة كلِّيَّة على محيطنا الحيوي، فإنّ في مقدورنا -مع الأسف- إخراجه عن مساره والإخلال بتوازنه ليخرج عن طوره ويزيلنا من الوجود[٢].

لمدَّة طويلة، لم تكن قضيَّة الطبيعة والمناخ محلّ اهتمام، من طرف الذين يسعون إلى السيطرة على مزيد من الموارد والأسواق، ولا من طرف خصومهم الذين كانوا ضد تلك الرغبة. فقد كانت الليبرالية الجديدة تُناقش بوصفها قضية سياسية واقتصادية، وأحيانا بوصفها ظاهرة لها تبعات نفسيَّة على البشر[٣] . لهذا توقَّع بعضهم أن يصبح "الحزن البيئي" هو الشعور النفسي السائد، الذي سوف يعاني منه كثير من البشر تجاه الخسائر التي نواجهها، ومشاهدة المعاناة والخسائر التي يمرّ بها الآخرون، هو بمثابة جرس إنذار يذكِّرنا بأنَّ تغيّر المناخ ليس مجرَّد مصطلح علمي بل هو واقع نعيشه؛ حيث يشكِّل تغيّر المناخ مصدرًا للألم النفسي لكثيرين، وهو ما لم نكن ننتبَّه له من قبل، لا سيَّما بين البشر الذين لا يزالون مرتبطين بقوَّة بالطبيعة[٤].

لقد أثبتت الأزمات الراديكاليَّة الشموليَّة التي تواجهها البشريَّة أنَّه لم يعد هناك من حلٍّ «أفقيٍّ» لمشاكل كوكبنا، فالإنسان الحديث المشدود إلى أفق التقدُّم المادِّي البرّاق، أصبح مخرِّبًا للأرض وسارقًا لثرواتها وطبيعتها. وهو بذلك يهدِّد وجودُه وجودَ أنواع الحيوانات والنباتات الأخرى[٥]. ولن يكون الخروج من الأزمة إلا من خلال استعادة وظيفة الذات المركزيَّة، المُهدّدَة خارجيًّا من مجموعة آليَّات أطلقتها هي نفسها والسبب الرئيس لهذا الاغتراب يرتبط -عند هيدغر- بالتقنيَّة

١ - راشيل كارسون: الربيع الصامت، ص١٤٩.
٢ - سلافاي جيجيك: فلسفة الفوضى، ص٦٤.
٣ - لين ستالسبيرج: كفى: كيف تدمر الليبرالية الجديدة البشر والطبيعة، ص١٧٠
٤ - لين ستالسبيرج: كفى: كيف تدمر الليبرالية الجديدة البشر والطبيعة، ص ١٧٧
٥ - إيريك يونس جوفروا: المستقبل للإسلام الروحاني، ص١٠.

الحديثة التي تتكشَّف عبر مسار عام يسير نحو نزع الإنسانيَّة[١]، ويقود إلى مجتمع شمولي مستبد، أُضفيت عليه الصفة العقلانية.

١ - الجذور الفلسفية لمشكلة البيئة:

تعود الجذور الفلسفيَّة لمشكلة البيئة لرؤى فلسفيَّة صاحبت التقدُّم العلمي والثورة الصناعيَّة، التي صاحبت بروز فكرة سيطرة الإنسان على الطبيعة وإخضاع كلّ شيء لسلطته[٢]، ففي مطلع ستينات القرن العشرين، برزت البيئة باعتبارها مطلبًا حيويًّا في سياق مسار نقدي للحداثة الغربية، ومظاهرها العلميَّة والتكنولوجيَّة التي تعتبر دعامة رئيسة لنمط الإنتاج الرأسمالي المُهيمن على المجتمع. وتفرع عنها فلسفات ثوريَّة سعت إلى تحقيق خطاب فلسفي إيكولوجي (Ecological Philosophy) بديل، يوازن بين حقّ الإنسان وحقّ الطبيعة. وانتهت تلك الخيارات إلى أنَّ الإنسان يمكن أن يبتكر حلولاً للمشاكل التي تنتج عن سيطرته على الطبيعة، لكنَّه ومع تفاقم المشكلات البيئيَّة أخذت رؤى أخرى تعلن عن نفسها، وتدعو إلى ربط القرارات والتصرّفات بالأهداف والغايات المتوقَّعة منها، ورغم هذا لم تتخلَّ هذه الرؤى عن فكرة مركزيَّة الإنسان وهيمنته على الطبيعة.

بعد مؤتمر ستوكهولم ١٩٧٢م الذي انبثق عنه برنامج الأمم المتحدة للبيئة (ANEP)، أصبح النقاش في البيئة مطلبًا رئيسًا، واتَّجه البحث إلى التركيز على التوازنات الطبيعيَّة، وتمديد الالتزام والمسؤوليَّة إلى ما وراء عالم الإنسان وصولاً إلى البيئة...تحت تهديد المخاوف المتعلِّقة بالطاقة النوويَّة، والتنوُّع البيولوجي[٣]، والتوسُّع العمراني، والتلوُّث. في ظلِّ غياب «مبدأ خُلُقيّ يخصّ علاقة الإنسان بالأرض

---

١ - جاني فاتيمو: نهاية الحداثة، ص٤٥.

٢ - عبد الرحمان حللي: هل يقدم القرآن مبادئ تأسيسية لأخلاق بيئية، ص٢٢.

٣ - تقول (مارتي كروش -M. Crouch) أستاذة البيولوجيا في جامعة إنديانا: إن أعلى مكاسب الثورة الخضراء من نصيب شركات النفط، والشركات متعدِّدة الجنسيات التي تُوفِّر الآلات، والبذور، والأسمدة، ومبيدات الحشائش الضارة والحشرات. يربح أيضًا رجال البنوك الذين يمُوِّلون شَقَّ الطُّرق، وإقامة السدود، وعمليات الزراعة؛ ليَتركوا البلدان النامية تنوء من عبء الديون. وخلصتْ إلى أن تطبيقات عملها من الأرجح أن تُفيد الشركات مُتعدِّدة الجنسيات أكثر من أن تُفيد الكتل العريضة من الفقراء والجَوعى؛ ليندا جني شيفرد: أنوثة العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، ص٣٣٠.

والحيوانات والنباتات التي تنمو عليها...والعلاقة بالأرض لا تزال مسألة اقتصاديَّة، حيث تترتَّب عليها امتيازات وليس التزامات»[١]. بناءً عليه، برزت المطالبة بأخلاق رعاية الأرض وخُلُقيَّات البيئة نموذجًا شاملاً (holistic) لحلِّ أزمة العالم المعاصر، ورسم الأفاق المستقبليَّة للبيئة، والحفاظ على المجتمع الحيوي للعالم بأسره، أو البيئة الطبيعيَّة للإنسان الذي يعدّ "جزءًا من الطبيعة مهما كانت رغبته في التظاهر، فهل يستطيع أن ينجو من التلوّث الذي غدا منتشرًا في كل مكان؟!»[٢].

بناءً على هذا، أصبح كلُّ ميدان من ميادين العلم يطرح إشكاليَّات خُلُقيَّة نوعيَّة (طبّيَّة، وبيئيَّة، واقتصاديَّة، وإعلاميَّة، وتكنولوجيَّة)، مضافًا إلى المشاكل الخُلُقيَّة (Ethical problems) التي تطرحها علاقة الإنسان بالتقنية، خاصَّة بعد أن أصبحت التقنية هي الموجِّه الرئيس لكثير من تعاملاتنا اليوميَّة من أبسط الأمور إلى أعقدها، وأضحت تشكّل بديلاً عن الواقع الحقيقي، وتطرح بذلك مشاكل متعلِّقة بالهُويَّة الإنسانيَّة. والتدهور الخطير في السلوك الخُلُقي للناس نتيجة للمككنة التي سيطرت على حَياتنا، ونَزْعت السِّمة الإنسانيَّة عنها، وهذه الكارثة مُنتَج جانبي لتطوُّر العقليَّة العلميَّة والتقنيَّة"[٣] التي تُقارب الواقع من خلال الملاحظة والتجريب، فأدّت إلى ظهور ثقافة علميَّة تختزل الواقع إلى ما هو قابل للملاحظة والقياس، وتُفسِّر الطبيعة من خلال القوانين التي تحكم المادَّة[٤].

هذا ما دفع الفلسفة الإيكولوجية (Ecological philosophy) إلى المناداة بإنسيَّة إيكولوجية، ترتكز على قِيم إجلال الحياة والانسجام والتناغم مع الطبيعة، وأهمّ ما يميِّز خطابها نزعتها النقديَّة الجذريَّة التي تشتغل على تقديم الأدوات المفهوميَّة والمعرفيَّة للكشف عن حقيقة البيئة ومشكلاتها، وتعمل على تهيئة الأطر النظريَّة والعلميَّة التي تفيد بفهم الأزمة البيئيَّة وانعكاساتها العامَّة على مكوِّنات الوجود، والكفيلة بمراجعة فكريَّة للنظرة الغربية الحديثة إلى العالم،

١ - بول وورد وآخرون: البيئة تاريخ الفكرة، ص٢٧.
٢ - راشيل كارسون: الربيع الصامت، ص٣١١.
٣ - ليندا جني شيفرد، العلم من منظور الفلسفة النسوية، ص٣٤١.
4 - Vaillancourt: La théologie écologique de Gérard Siegwalt, Laval théologique et philosophique, Volume2, P311–329.

وامتدَّت تأثيراتها إلى بقيَّة العالم، وشكّلت في الوقت نفسه نواة الحضارة المعاصِرة، وأنماط الحياة والاجتماع والتمدُّن.[١] بناء عليه، "وبدل الاعتراف بأنَّ الإنسان وحده غاية في ذاته، وأنَّه يمتلك قِيمة مطلقة، فإنَّ الطبيعة أيضًا تطالب بأن لا تُعامل معاملة وسيلة...فما دامت الطبيعة تعطي للإنسان، فإنَّ على الإنسان أن يقدِّم لها المقابل"[٢]. ومن ثَمَّ البحث المستمرّ عن محيط إيكولوجي سليم وصحِّي[٣]، فالبشريَّة تقف اليوم في مفترق طرق، وهي ترى الأخطار تتهدَّدها من جرَّاء العبث الذي لحق بالبيئة، نتيجة الفساد الذي ألحقته يد الإنسان، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

٢- الروحانيَّة اللا دينيَّة وسؤال البيئة:

تسعى الروحانية اللا دينيَّة مستفيدة من التقاليد الفلسفيَّة والدينيَّة لصياغة خُلُقيَّات بيئيَّة أوسع نطاقًا، والانتقال من النموذج المتمركز حول الإنسان إلى النموذج المتمركز حول البيئة -non anthropo centric -«سعيًا وراء الحكمة البيئيَّة»[٤]، والكشف عن الحقائق والمعارف الغيبيَّة من داخل الإنسان، وتقرّر أنَّ تحصيلها لا يكون إلاّ باطنيًّا ذاتيًّا بعيدًا عن الإله؛ لأنّ الوصول إلى الانسجام والهدوء والتوازن والصفاء الداخلي لا يحتاج إلى هداية إلهيّة؛ لأن في عقل الإنسان كفاية، ويمكنه وحده أن يعثر على طريق السعادة والشقاء، وهذا يجعله يتّجه إلى تأليه ذاته الإنسانيَّة، باعتبارها جزءًا من الطاقة الكونيَّة. وهذه الطاقة تحقِّق له السلام الداخلي دون شعائر دينيَّة أو سلطة إلهيَّة[٥].

---

١ - نصلي بكير دليلة: "مقاربة مفاهيمية للفلسفة الأيكولوجية"، ج٩، ص٢٥٧-٢٦٦.

٢ - جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص١٢٤.

٣ - محمد بن همور: «مراجعة كتاب خالد شهبار: التيَّارات الأيكولوجية الراهنة: تمرين في التصنيف والنمذجة»، ص٥٥.

4 - Mary Evelyn Tucker and John Grim: Introduction Retrospective and prospective observations of Religion and Ecology: The New Ecozoic Reader, P16

٥ -مديحة حمدي عبد العال مرسي: «بين الروحية الدينية واللا دينية: رؤية نقدية»، مجلة الاستغراب، ص٩٧-١٢١.

بهذا تصبح الرؤية الجديدة للحقيقة رؤية إيكولوجيَّة، تتجاوز الإطار العلميّ إلى وعي حدسي لوحدة الحياة من خلال الترابط التبادلي بين مظاهرها المتعدِّدة، ودورات تغيّرها وتحوّلها. وعندما يكون المفهوم الروحي للإنسان صورة للوعي الذي تتَّصل من خلاله المشاعر الإنسانيَّة بالكون، سيتجلَّى لنا بوضوح أنَّ الوعي الكوني في حقيقته وعي روحي[١] خارج نطاق المؤسَّسات الرسميَّة، حتى وإن كانت الأديان تربط البشر بحضور إلهيّ، أو قوى روحيَّة لتحقيق تحوّل ذاتي وتماسك مجتمعي في سياقات كونيَّة وطبيعيَّة، يساعد في بناء علاقات وثيقة مع مجتمع الأرض الأوسع في سياق كون يولّد الحياة»[٢]. فقد أكَّد (توماس بيري-Thomas Berry) أبرز مؤسِّسي مجال الدين والبيئة، أنَّ جميع المجتمعات تعيش ضمن شكل من أشكال السرد الثقافي؛ أي رؤية عالمية تُمكّننا من فهم العوالم الطبيعيَّة والاجتماعيَّة...وترمز إلى نشوء الإنسان من عمليَّات الأرض، وتشابكه واندماجه فيها، أو انتمائه إليها[٣].

بهذا تكون الروحانيَّة تعبر عن بدائل غير دينيَّة لتحقيق الأهداف المرجوَّة من التديُّن، وهي تُقرّ بالطابع العلاجي لتفاعلات الإنسان والأرض مع الغابات والمناظر الطبيعيَّة والتنوّع البيولوجي[٤]، دون أن يعني ذلك الإيمان بدين معينّ؛ لأنَّ الدين أصبح "شيئًا يوضع جانبًا، يكتفى بمنحه مكانةً محدودةً وضيّقةً قدر الإمكان، فهو شيء فاقد لأي تأثيرٍ حقيقيٍّ على باقي جوانب الحياة"[٥]. فأن تكون روحانيًّا لا علاقة لها بما تعتقده، بل بحالة وعيك الداخلي. وهذا يحدِّد كيف تتصرّف في العالم، وكيف تتفاعل مع الآخرين، وبهذا جرت إزاحة المنظومة الإيمانيَّة، وفكّ الارتباط بين الروحانيَّة والدين، فمهما كانت معتقداتك التي تؤمن بها، فإنَّها لا تجعل منك شخصًا روحانيًّا،

١ - عبودي نبيلة: «الأيكولوجيا العميقة عند فريتخوف كابرا»، ص٣٧٧-٣٩١.

2 - Mary Evelyn Tucker and John Grim: Introduction Retrospective and prospective observations of Religion and Ecology: The New Ecozoic Reader, P11

3 - Heather Eaton: Cosmology, Worldviews, Stories: Encounters In the Field of Religion and Ecology: The New Ecozoic Reader, P21.

4 - Mary Evelyn Tucker and John Grim: Introduction Retrospective and prospective observations of Religion and Ecology: The New Ecozoic Reader, p17.

٥ - ذهبان مفيدة: الروحانية النازلة: نقد المادية الغربية في فكر رينية غينون، ص٤٨.

بـصرف النظر عن طبيعـة تلك المعتقدات. وكلّـما امتزجت هويَّتك بمعتقداتـك، ابتعدت عن الجانب الروحاني في ذاتك. وعلى هذا الأسـاس، أصبح بمقدور الإنسـان أن يتدبَّر الطريق إلى السعادة، جاعلاً من تجربته الشخصيَّة أساسًا للوصول إلى الطريق الصحيح في الحياة. ومن هذا الأساس، ينشأ موقف عقلاني موجّه لإدارة موارد الأرض.

رابعًا: البيئة في ضوء الرؤية الإيمانية-الاستخلافية.

يرتكز سـؤال البيئة في النظرة الإيمانيَّة ضمن رؤية تستدعي سؤال الإنسان والوجود، وحدود العلاقة بين هذا المركّب في ضوء الرؤية القصديَّة التعبّديَّة، ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجـر: ٢٨- ٢٩]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِـنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُـمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾ [الحج: ٥].

الإنسـان كائن متميّز عن سـائر الكائنات- رغم انتمائه إلى الوجود العالمي- من حيث خَلقه وتكوينـه، ومنزلتـه في الكون، ومن حيث مَهمَّته الوجوديَّة، ولذلـك خُصَّ من بين الموجودات ببيان عقديّ في نطاق المنظومة الوجوديَّة[1] التي تحكم العلاقة بين الإنسـان والوجود من جهة، والعبودية لله من جهة ثانية، وفق مبدأ المطلق والنسـبي، وجدلية المادّي والروحي؛ حيث يمثِّل الله واجب الوجود المكتفي بذاته، والمتفضّل على خلقه، ويمثِّل ما سـواه النسبي المحتاج في كماله لغيره، والإنسان من هذه الزاوية متوقّف وُجوده على ما جاد به الحقّ عليه، واستخلفه فيه، وسـخّره له، ومكّن له في الأرض، حتى يقوم بواجبات العبـادة على أكمل وجه. ضمن منظومة قِيميّة عليا تُعبرّ عن مقاصد الحقِّ في الخَلق، وتنبثقُ عنها سـائر القِيم الرئيسة والفرعيَّة، وأنَّ هذه المنظومـة القِيمية تعبير عن حقائق الأمور ووقائعها كما أرادها الله، وليسـت شـيئًا خارجًا عنها

١ - عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٥٢.

أو مفروضًا عليها. تُكوِّن هذه القِيم مرجعيَّة معياريَّة لتحديد المقاصد الكليَّة للدين، الذي به تتقوّم حياة الإنسان في هذه الأرض، ويتقوَّم بها سلوكه وجهودُه في مراتب التزكية في جسمه وعقله وقلبه، وفي سلوكه وتصرّفاته، وفي ماله وممتلكاته، وفي أنظمته وعلاقاته في حياة الفرد والمجتمع. وتقاس بها قيمة الحياة في عُمُر الإنسان الفرد، أو عُمُر الجماعة أو الأمَّة، وسائر الجهود والإنجازات الحضاريَّة والعمرانيَّة للفرد والجماعة والأمَّة والإنسانيَّة.[١]

تأسيسًا على ما سبق، يتعامل القرآن الكريم مع الإنسان كما هو، متحرّرًا من ذنب الخطيئة الأصلية السابقة على وجوده على هذه الأرض، ومؤهَّلاً للقيام بوظيفة الخلافة فيها، فكلّ شيء في الكون يحمل قيمة كونيَّة عليا، بوصفه وسيلة لتحقيق المطلق، ولا بد أن يكون استخدام الموارد الطبيعيَّة مسؤولاً، وفق الحاجة بعيدًا عن الإسراف والتبذير، ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١]. واجتناب إلحاق الضرر بالطبيعة، ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة: ٦٠]؛ لأنَّها منّة من الله وهو مالكها الأوَّل والأخير، ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾.(الأعراف: ٧٤)، والتسخير، منّحة ربانية وعطاء من غير تكلّف، وهو ابتلاء واختبار للإنسان. ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وهذا يتوافق مع عقيدة التوحيد وفلسفة العبادة. «ولمَّا كانت العقائد هي التصوّرات لعالم الغيب، والشريعة هي التنظيم لعالم الشهادة، فإنَّ العبادات هي عامل الوصل بين عَالَم الغيب وعَالَم الشهادة، فيتحقَّق للإنسان الانسجام مع الكون بأكمله، ما يدركه منه وما لا يدركه، وما فيه من قوانين تحكم عالم الشهادة، وما فيه من قوانين في عالم الغيب تؤثِّر في عالم الشهادة».[٢] والإنسان بخصائصه الماديَّة والروحيَّة، وحدة متكاملة مزوّدة بالعقل والقدرة على الاختيار،

١ - فتحي حسن ملكاوي: تجليات مقصد التوحيد في الفن الإسلامي: نظرية إسماعيل الفاروقي، ضمن: الفنون في ضوء مقاصد الشريعة، ص٢٤٩-٢٩٧.

٢ - عبدالله القيسي، في فلسفة العبادات.

ليتمكَّن من حمل أمانة الاستخلاف ومسؤوليَّاته، عبر التفاعل مع الكون في ظلّ العبودية لله، ويتَّجه نحو كمال الإنسان على قواعد الحكمة التي تضمن له التوازن بين البحث عن السعادة في الدنيا والآخرة[١]. والكون بما فيه من أجزاء وتفصيلات، مسخّرٌ للإنسان حتى ينتفع بمحتوياته، بما يحقّق له الخير والراحة والسعادة، ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣]، ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٣].

يستهدف الدين تحقيق التوازن في حياة الإنسان، بين جانبيه المادي والروحي، فالإنسان ليس تطوُّرًا طبيعيًّا بفضل تعقيد المادَّة، ولا هو تطوّر بيولوجي كما تشير النظريَّة التطوّريَّة، بل خلقه الله -تعالى- بقضائه وقدره، ووضع فيه آياته المعجزة. وهذا هو المؤّمن للإنسان من الطغيان، ﴿**أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**﴾ [الرحمن: ٨]. والمحفّز له للانتصار على الصعوبات، من خلال الاتصال بعالم الغيب ومصدره.

تلك هي الفلسفة التي جاء بها الإسلام، «تطلب من الإنسان أن يحيا حياة جوَّانية وبرَّانية، روحيَّة وماديَّة. فلسفة تتطلَّب من الإنسان أن يتقبَّل بوعي وإرادة كاملة جميع جوانب هذه الحياة، باعتبارها تحقّق إنسانيَّته»[٢]. وترفع همّته إلى أن يأتي بأفعاله على الوجه الذي يجعل نفعها يتجاوز نفسه وأسرته ووطنه إلى العالم بأسره[٣]. وفق منظومة يؤطّرها مبدأ الاستخلاف، ويُسهل سُبلها مبدأ التسخير، ويسندها مبدأ التمكين، ويحفظها من الخلل مبدأ اجتناب الفساد، ﴿**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾ [الأنعام: ٦].

---

١ - محمد بن علي: أحمد عروة، دفاعا عن المرجعية الإسلامية للنهضة، ص٥٦.
٢ - على عزت بيغوفتش: الإعلان الإسلامي، ص٩٣.
٣ - طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص١٥٨.

خامسًا: بين العلمانية البيئية والروحانية الدينية:

يتبيّن من استعراضنا لسؤال البيئة بين الرؤيتين: العلمانيَّة المرتكزة على مبادئ الفلسفة الماديَّة، ومبادئ الرؤية الروحانيَّة الإيمانيَّة، المبنية على فلسفة الغايات النهائيَّة للإنسان، أنَّ الاختلاف بين الرؤيتين، يرجع لمرجعيَّة كلّ منهما.

تنطلق الروحانية الدينية، من أنَّ الإيمان بالله -تعالى- مسلَّمة ضروريَّة، وفكرة ناظمة تضمن التأليف بين الفضيلة والسعادة في الدارين، انطلاقًا من الإيمان بأنَّ كلَّ ما في الكون خاضع لمشيئة الله، ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٤]، وأنّ الله قلّد الإنسان مسؤوليَّة الخلافة في الأرض والالتزام بطاعته. ومسؤوليَّة تحقيق سعادته الأبديَّة بطاعة الله؛ لأنّ حياة الإنسان في الدنيا هي مرحلة في الوجود، يتحقَّق فيها مصيره بموجب الإيمان والتقوى التي تعتبر الفكرة المركزيَّة في النظام الخُلُقي الإسلامي.

وعليه يكون هدف العلم، دنيوي يربط بين الإنسان والكون الطبيعي، وروحي يربط بين الإنسان والخالق، والبعدان مترابطان، لأن معرفة الإنسان للمخلوقات تدلّه على خالقه وقدرته وحكمته. كما أنَّ معرفة الإنسان للخالق تعرّفه بالأهداف والمقاصد الوجوديَّة[1]. ولذلك يأمر الله -تعالى- الإنسان بالتّدبر والنّظر في آيات الكون؛ حتى يزداد تواضعًا، ويشهد على عظمة الخالق، ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧]، فالعلم من هذه الناحية عامل أساس في ترقية الضمير الديني؛ لأنَّه يكشف عن عظمة الكون وعجائب المخلوقات، وعن السُّنن والقوانين التي تسير عليها الموجودات، كما أنَّه يعطي للإنسان الوسائل الإدراكيَّة والعمليَّة لتسخير تلك القوانين بما يخدم حياته ورقيّه الحضاري، ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبصار ولٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ١٣٧].

---

١ - أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، ص٩٧.

ولذلك تقتضي الحكمة أن يكون العقل واعيًا بإمكانيَّاته وحدوده، وغايات وجوده التي تتمحور في:

- استكشاف العالم الطبيعي بما يؤكِّد الصلة بين الخالق والمخلوق، وتسخيره في صالح الإنسان.
- استكشاف الغايات الوجوديَّة والمقاصد الكليَّة التي من أجلها استخلف الإنسان في الأرض.

انطلاقًا من منهج متكامل: ركيزته الوحي ووسيلته العقل، وما يكمن أن يظهر من تعارض بينهما ما هو إلا نتيجة لنظرة قاصرة في ذهن الإنسان، تفصل بين المنهج العقلاني والمنهج الإيماني. فالإنسان يجد في العلم تأكيدًا لإيمانه وتوسيعًا لآفاقه الروحيَّة؛ لأنَّه يعتقد أنَّ الله هو خالق الكون ومدبّرهُ، وكلّما ازداد علمه بتلك القوانين يزداد إيمانه بالله، حيث يتقاطع العقل مع الوحي لبلوغ الأهداف والغايات الكبرى[1]. فالعقل هو الوسيلة الواعية التي يستعملها الإنسان إدراكًا للكون واستخدامًا لما فيه من طاقات واستقصاء لأسراره ومقاصده، بحيث يضعها في منهاجها الوجوديَّة وفي أبعادها الحياتيَّة والخُلُقيَّة والدينيَّة.

بناء عليه، تتلخَّص فلسفة العبادة في: كونها تعتبر الحياة الدنيا مرحلة وجوديَّة، يستعدّ فيها الإنسان نفسيًّا وخُلُقيًّا وروحيًّا إلى الحياة الآخرة، استعدادًا يفرض جهودًا وابتلاءات تبعًا لوظيفة الاستخلاف من جهة، ودواعي الترقّي الروحي والخُلُقي من جهة ثانية. أما غايات المعرفة من وجهة نظرة الدين فهي إمَّا: معرفة استطلاعيَّة يتوق إليها العقل لاكتشاف ما يحيط به، أو معرفة نفعيَّة يتطلَّع إليها الإنسان لتحقيق غاياته المعيشيَّة[2]. والإنسان من هذه الزاوية هو المعني بالبحث في سؤال الغايات، بناء على مبدأ التكليف الذي حمله الخطاب القرآني. فالحياة ليست غاية في ذاتها وإنَّما هي مرحلة تكليف يتبعها جزاء إما ثواب أو عقاب، ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١].

١ - أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، ص٣٩.
٢ - أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، ص١١٤.

بينما تعبرِّ عودة الروحانيَّة للفضاء العَلماني- حتى ولو كانت هذه الروحانيَّات الجديدة لا تعني ضرورة الاحتفاظ بالروحانيَّات الدينيَّة التقليديَّة- عن حالة نكوص في الوعي الغربي نتيجة إفراطه في النزعة الماديَّة الاستهلاكيَّة. فبعد أن تخلّص الفكر الغربي من هيمنة الكنيسة وشقّ طريقه نحو التقدّم، مستغلاً ما حقَّقته العلوم الطبيعيَّة التي جعلته يخطو خطوات جبّارة نحو المزيد من السيطرة على الطبيعة. لكن هذه القفزة الحضاريَّة (الماديَّة) كانت على حساب البُعد الروحي للإنسان؛ حيث أفرغته من طموحاته وجعلته خادمًا لدوافعه الاستهلاكيَّة، بعد أن سيطر البُعد المادي على الروحي، وجرى رفض البُعد اللاَّهوتي في تفسير معاني الحياة، والكون والإنسان. من منطلق أنَّ «الطبيعة تسيّرها قوانينها الذاتيَّة بخاصّيَّة أزليَّة فيها... ونظام الكون وحركته وتطوّراته، وظهور الحياة فيه، وتنوّع المخلوقات، وبروز الإنسان، ليس إلاّ ظواهر طبيعيَّة لحقيقة الكون الماديَّة»[١].

استهدفت العَلمانيَّة الروحيَّة إنقاذ الإنسان الغربي من اغترابه وقلقه الوجود، بعد أن فقد سماته البشريَّة وتحوَّل إلى ما دون البشر[٢] تائهًا يبحث عن مخرج من الأزمة البيئيَّة التي نتجت عن تدخّله في نظام الطبيعة، بطريقة أفضت إلى إحداث خلل في نظامها، فمنذ أن أصبح الإنسان ينظر للأرض على أنَّها موردًا وملكيَّة يمكن تطويرها وإدارتها كيف ما اتَّفق، لم تعد العلاقة بين الإنسان والطبيعة قائمة على أساس التوازن والاستثمار العقلاني، حتى وإن جرى استدعاء المطلب الروحي، فإنَّه يُطلب في صيغته الوضعيَّة روحانيَّات ذاتية، نابعة من الأفق الإنساني، حتى ولو كانت ترمي إلى الهدف ذاته، أي غائيَّة الخلاص، وتقديم ضمانات المعنى والأمل وجوديًّا وقيميًّا؛ لأنَّ «التصوّر الحديث، ومن خلال رغبته في الفصل الجذري للعلوم عن أي مبدأ أعلى، بذريعة تأمين استقلاليّتها، ينزع عنها أي دلالة عميقة». فالمعرفة بخاصّة في الأنساق المعرفيَّة الغربيَّة ليست معرفةً من أجل المعرفة، وإنَّما هي تجلٍّ لإرادة القوَّة، وأثر لصراع...وبالتالي ثمَّة ظاهرةٌ لازمت الرؤية الحداثيَّة للعالم، هي تخليص المعرفة من حيث المصادر والمقاصد من الإحالات المقدَّسة والمتعالية[٣].

١ - أحمد عروة: المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان، ص٢٩٩-٣٠٠.
٢ - أرنولد توينبي وآخرون: الإنسان وهموم الموت، ص٢٠٧-٢٠٨.
٣ - عبد الرزاق بلعقروز: من أجل المعرفة: مفاتحات حواريةٌ مع الذات والكتاب، ص١٢.

خاتمة:

ما نخلص إليه في نهاية هذه الورقة يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

١. الاستغلال غير العقلاني للطبيعة والتركيز المفرط على القِيم الماديَّة الربحيَّة، قلّص دور القِيم الروحيَّة، وأدَّى إلى تنامي المشاكل البيئيَّة التي أصبحت تهدّد حياة الإنسان وتقضي على التنوّع البيئي.

٢. الإطار الفكري (Paradigm) المتمركز حول الإنسان، جعل منه مرجعيَّة ذاته، ومكتفيًا بمنجزاته، واعتبر الكون قابلاً للتفسير الطبيعي؛ حيث لم يعد الإنسان الغربي في حاجة للإله ليفسِّر له الطبيعة أو يضع له القواعد التي يسير وفقها. وتبعًا لذلك أصبح لا يعوّل على الدين لتقديم إجابات أو تفسير نهائي للطبيعة.

٣. الروحانيَّة العلمانيَّة باعتبارها استدراكًا للخلل القِيمي، تعبِّر عن محاولة داخلية لإصلاح انعكاسات الرؤى الماديَّة التي أقصت كلّ مرجعيَّة متعالية. وهذا ما يفسِّر تنامي التيَّارات الروحيَّة الذي يعبّر عن أزمة قِيم، وخلل في العلاقات الإنسانيَّة الغربيَّة؛ حيث تعالت الأصوات المنادية بعودة القيم للعلاقات بوصفها علاجًا لهشاشة الحياة.

٤. فشل الروحانيَّة العلمانيَّة في علاج حالة الاغتراب والخوف التي تنتاب الإنسان الغربي، سببها الثقة المفرطة في مكتسبات العلم، والحلول التقنية، مع استمرار الفصل بين المادي والروحي في التعامل مع الأرض ومواردها.

٥. في مقابل ذلك تمتلك الروحانيَّة الدينيَّة قوّتها من مرجعيّتها التي تنطلق من مبادئ خالدة تستهدف خير العنصر البشري عامَّة، فهي نظريَّة وعمليَّة في الوقت نفسه، تجمع ما بين أخلاق الإنسان في ذاته مرورًا بالوجود وأبعاده، وصولاً إلى تحقيق مَهمَّة الأمانة والاستحلاف والشهادة، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّة وَسطا لتَكونوا شُهداء على النّاس ويكون الرّسولُ عليكم شهيدا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

٦. المحافظة على البيئة في الرؤية الاستخلافيَّة مرتبط بمَهمَّة التكليف وحفظ الأمانة،

ونفي العبثيَّة عن الوجود الإنساني في علاقته بالطبيعة.

٧. لا يعنـي خضوع الأرض للإنسـان أنَّه حرّ في فعل ما يشـاء، أو أنَّـه حرّ في الإخلال بتوازن الطبيعة، ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ۞ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر: ١٩-٢١]، ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: ١٠٧].

٨. الرؤية العقلانية المسدَّدَة بالقِيم الدينيَّة، تجعل أفق الإنسان متطلّع إلى غايات تتجاوز البُعد المادي، وتجعل من العلم والعمل وسيلة لتحقيق معاني العبوديَّة وتحقيق عمارة الأرض وعدم العبث بمقدّراتها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- دليل مبادئ استعادة النّظم الإيكولوجية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)، منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO).
- محمد سبيلا و عبد السلام بنعبد العالي: نصوص فلسفية (الطبيعة والثقافة)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٩١.
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لا ط، ١٩٨٢.
- مفيدة ذهبان: نقد الروحانية العلمانية: الحدسية البرغسونية أنموذجًا، مجلّة الاستغراب، ع٣٩، ٢٠٢٥.
- برغسون هنري: الطاقة الروحية، تر: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- د. ديفيد، ر.هاوكينز: عين الأنا: من المكان حيث لا شيء نخفي، تر: محمد ياسر حسكي وبسام عبيدي، دار الخيال، بيروت، ٢٠١٧.
- ديميتري أفييرينوس: العلم والروحانية، مجلة الثقافة، ع٣، وزراة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٩.
- رباب كمال: الروحانية الإنسانية: هل هي مفهوم عابر للأديان؟ مسترجع من موقع.https:// hafryat.com/ بتاريخ ٢٠٢٥/١٠/١٥
- أوجين كامنكا: الأسس الخُلُقية للماركسية، تر: عبد المنعم مجاهد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.
- عبد اللطيف كمال: التفكير في العلمانية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- كارل ساجان: كوكب الأرض، تر: شهرت العالم، عالم المعرفة (٢٥٤)، الكويت، ٢٠٠٠.

- بول وورد وآخرون: تاريخ الفكرة، تر: سعيد منتاق، عالم المعرفة (٥٠٦)، الكويت، ٢٠٢٣.
- جون لوك: رسالة في التسامح، تر: منى أبوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ١٩٩٧.
- محمد الخمليشي: العرب العلمانية، حقوق الإنسان، رهانات المعنى والحرية المجلة العربية لحقوق الإنسان، ع٦.
- محمد بن علي: مقدمات في الفكر الليبرالي، دار أجيال الرقمي، الجزائر، ٢٠٢٣.
- محمود حيدر: ما بعد العلمانية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، ٢٠١٩.
- صلاح قنصوه: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، لا ط، ٢٠١٠.
- أحمد عروة: أفرأيتم النار التي تورون، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ٢٠١١.
- أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٨٧.
- تيري إنجلتون: أوهام ما بعد الحداثة، تر: منى سلام، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، مصر.
- وائل الحلاّق: من الانتقاد إلى النقد: من هنا نبدأ، إعداد وتحرير: أ. وليد القاضي، مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني.
- لين ستالسبيرج: كفى: كيف تدمر الليبرالية الجديدة البشر والطبيعة، تر: شرين عبد الوهاب وبسنت علي أمين، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، لا ت.
- تشارلز لارمور: أخلاق الحداثة، تر: مايكل مدحت يوسف، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠٢٢.
- ديميتري أفييرينوس: الأرض كائن حي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، ع٣٣٨، نوفمبر، ١٩٩١.
- جياني فيتيمو، نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة، دمشق -سوريا، لا ط، ١٩٩٨.
- راشيل كارسون: الربيع الصامت، تر: أحمد المستجير، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.

- سلافاي جيجيك: فلسفة الفوضى، تر: عماد شيحة، دار الساقي، الطبعة الالكترونية، ٢٠٢٣.
- إيريك يونس جوفروا: المستقبل للإسلام الروحاني، تر: هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠١٦.
- عبد الرحمان حللي: هل يقدم القرآن مبادئ تأسيسية لأخلاق بيئية، Journal of Islamic Ethics ٩ (٢٠٢٥) ١٩-
- عبد الحميد العبيدي: محاولة في فهم تقاطعات الخطاب البيئي مع مسار نقد الحداثة، مجلَّة عمران، ع٣١، ٢٠٢٠.
- طه عبد الرحمان: سؤال الاخلاق: مساهمة في النقد الخُلُقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
- نصلي بكير دليلة: مقاربة مفاهمية للفلسفة الإيكولوجية، مجلَّة مقاربات فلسفية، ع١، ج٩، ٢٠٢٢.
- جاكلين روس: الفكر الخُلُقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
- محمد بن همور: مراجعة كتاب خالد شهبار: التيارات الإيكولوجية الراهنة: تمرين في التصنيف والنمذجة، مجلة المستقبل العربي، ع ٥٥٥، ٢٠٢٥
- ذهبان مفيدة: الروحانية النازلة: نقد المادية الغربية في فكر رينية غينون، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠٢٠.
- مديحة حمدي عبد العال مرسي: بين الروحية الدينية واللا دينية: رؤية نقدية، مجلَّة الاستغراب، ع٣٩، ٢٠٢٥.
- عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٣.
- محمد بن علي: أحمد عروة، دفاعا عن المرجعية الإسلامية للنهضة، منشورات الوطن، سطيف، الجزائر، لا ط، ٢٠٢٣.
- أحمد عروة: المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان، ضمن قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦.

- أرنولد توينبي وآخرون: الإنســان وهموم الموت، تر: عزّت شعلان، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط١، ٢٠١١.
- Irene Becci, Les éco-spiritualités contemporaines ,Un changement culturel en Suisse, Éditions, Seismo, 2024.
- Vaillancourt, L. La théologie écologique de Gérard Siegwalt. Laval, 2010.
- Linking sustainability and spirituality: A preliminary assessment in pursuit of a sustainable and ethically correct world. Journal of Cleaner Production, 2022.
- Mary Evelyn Tucker and John Grim, Introduction Retrospective and prospective observations of Religion and Ecology: The New Ecozoic Reader, Number 9, September 2025.
- Heather Eaton, Cosmology, Worldviews, Stories: Encounters In the Field of Religion and Ecology, The New Ecozoic Reader, Number 9, September 2025.